مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ٧

القوة في القرآن الكريم ودورها في بناء شخصية الإنسان

الباحث

م.م محمد جاسم نصرالله

المديرية العامة تربية ديالى

البريد الإلكتروني Email : Mohammed.jasim.iq@ec.edu.iq

الكلمات المفتاحية: القوة ، القرآن الكريم ، شخصية الانسان

كيفية اقتباس البحث

نصرالله، محمد جاسم، القوة في القرآن الكريم ودورها في بناء شخصية الإنسان، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تموز ٢٠٢٦، المجلد:١٦ ،العدد:٧ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Power in the Holy Quran and its role in building human character

Mohammed Jasim Nasrallah
General Directorate of Education in Diyala

Keywords : : power , Holy Quran , Human personality

How To Cite This Article
Nasrallah, Mohammed Jasim, Power in the Holy Quran and its role in building human character ,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, July 2026,Volume:16,Issue 7.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

ABSTRACT:

This research defines the concept of power in a scientific and systematic way, as it shows its types, and its exclusive source which is directly from Allah Almighty, as it shows the legitimate aspects of its expenditure as mentioned in the Book of Allah, and the role of power in shaping and building the personality of the Muslim individual, as possessing power is ultimately an Islamic duty, and the strength of the Muslim comes from the strength of his faith. The strong individual has distinctive characteristics and effects that appear through situations, and in contrast, there are characteristics of the weak individual that also appear through situations and practical conduct, and there is a narration of many positive and negative situations in the Holy Quran. Once a person possesses power, the scourge of tyranny and oppression creeps into his heart, making him a sinner outside the will of Allah Almighty in His creation, and this defect comes from the sensitivity of dealing with power, and the deception of the weak-minded by their power, and their arrogance with it to the point of imagining that their powers are of self-origin, and not a reflection of the power of Allah Almighty that He granted them. The permissible becomes forbidden, and the recommended becomes disliked,

and all this is due to the difference in the sense of the element of power and the difference in the ways of spending it. There are many examples in the Holy Quran that show this state of tyranny, the tyrants and oppressors and their actions, and the divine punishment that befell them, whether through direct intervention from Him through supernatural powers, or indirectly through imposing balances between political and social entities.

المستخلص:

يعرف هذا البحث مفهوم القوة بشكل علمي ومنهجي، كما يبين أنواعها، ومصدرها الحصري الذي هو من الله سبحانه وتعالى مباشرة، كما يبين الأوجه الشرعية لصرفها كما ورد في كتاب الله، وبين دور القوة في تشكيل وبناء شخصية الفرد المسلم، فحيازة القوة في نهاية المطاف واجب إسلامي، وقوة المسلم من قوة إيمانه.وهذا الرابط بين القوة والايمان يجعل منها أداة للبناء والتنمية وليس للهدم والعدوان ‘فتزدهر الحضارة ويعمَّر الكون وفق المنهج الرباني . وللفرد القوي سمات مميزة وأثار تظهر من خلال المواقف ، وبالمقابل هناك سمات للفرد الضعيف أيضاً تظهر من خلال المواقف والسيرة العملية، وهناك سرد للعديد من المواقف الإيجابية والسلبية في القرآن الكريم.ومن أهم تلك السمات أن القوي المتوكل على الله لا يغتر بقوته بل يشكر نعمته ويعمل بها في طاعته ، بينما الضعيف إما أن يخور تحت وطأة العجز، وإما أن يبطر إذا نال شيئا من القوة فيقتر بها ظنا أنها منه لا من الله بمجرد حيازة الإنسان للقوة فإن آفة الطغيان والتجبر تتسللان إلى قلبه، جاعلين منه فاسقاً خارجاً عن إرادة المولى عز وجل في خلقه، ويتأتى هذا الخلل من خلال حساسية التعامل مع القوة، وانخداع ضعاف العقول بقوتهم، و اغترارهم بها لدرجة تصورهم أن قواهم تلك ذاتية المنشأ، وليست انعكاساً لقوة الله عزّ شأنهُ الَّتي منحها لهم. فيُصبح المباح حراماً، والمندوب مكروه، وهذا كله بسبب اختلاف الإحساس بعنصر القوة واختلاف طرق صرفها. وهناك نماذج عديدة في القرآن الكريم تظهر حالة الطغيان تلك، والطغاة والمتجبرين وأفعالهم، والعقاب الإلهي الذي نزل بهم، سواء بالتدخل المباشر من لَدُنْهُ عن طريق الخوارق، أم عن طريق غير مباشر من خلال فرض التوازنات بين الكيانات السياسية والاجتماعية.

المقدمة:

لا شك أن القوة هي المحرك الرئيسي للنشاط الإنساني، فلا حركة أو تفاعل من غير قوة، ولا تبالِغ إن قلنا إن الكون مبني على القوة، هذه القوة التي مهما اختلف شكلها أو نوعها أو مقدارها، فهي مؤقتة ومرحلية في المخلوقات جميعها، أما القوة الدائمة المطلقة كلها فهي بلا شك لذي القوة المتين وهو الله سبحانه، قال تعالى: (وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ

جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ}[١]، أما القوة الأرضية الممنوحة للبشر فلا عَجَبَ إذا أن يتسابق على استحواذها النَّاسُ أفراداً ومجتمعات ودولاً وأمماً ، فالقوة هي معيار التحكم في هذا الكون، والتحكم هو الذي يُعطي الإنسان
مكانته المادية وقيمته المعنوية.

والمسلم أولى بحيازة القوة، لأنها من أهم عطايا الله سبحانه ومنحه، ولأنه يجب أن يكون في أعلى درجات السمو إذا كان بحق صاحب رسالة، ويُحقق شروط استمراريتها ومددها. وإن الهوان المبين الذي تعاني منه أمتنا اليوم ما هو إلا نتاج طبيعي لترك وصية الله سبحانه وتعالى، حيث قال: (وَأَعِدُّوا لَهُم ما اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)[٢]، فقد ترك المسلمون إعداد القوة على الصعيد الشخصي، وتبعها فتور ووَهُنَّ على الصعيد الأممي، فتكالبت علينا الأمم تستعدي علينا، إلى أن أصبحنا مضرب المثل في الضعف والاستكانة بعدما صنع منا رسول الله ﷺ أُمَّةً من أقوى الأمم.

فاللهُ سُبحانَهُ فَضَّل أولي القوة على الضعفاء، وهذا هو فحوى حديث رسولِ اللهِ الله حِينَ قَالَ: (الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيف)[٣]. فالله سبحانه وتعالى يفتح ملكوته لعباده الأقوياء الذين يقيمون تلك العلاقة الراسخة بينهم وبين خالفهم، فكيف يُعقل أن يكون عبد الله ضعيفاً؟ إذا لَمْ تكُن علاقته بخالقه ضعيفة، إن القوة صنيعة الله عز وجل، وخَلق عظيم من خلقه، قد يُبتلى من يحوزها بالغرور والتكبر، فينسى أنها انعكاس للقوة الربانية وليس هو مصدراً لها، فتراه يطغى ويتجبر على خلق الله ويستكبر على الضعفاء من خلق الله، مما يفتح باباً للتحدي مع المولى عز وجل، فيمحق الله هذا النوع من البشر بقاصم جبروته وعقابه، فالله لا يرضى لعباده أن ينتحلوا صفاته، بل يرضى لَهُمْ أن تتجلى صفاته فيهم، فالعبرة إذا في امتلاك القوة لوجهة استعمالها وتسخيرها، فليس كل قوة مباحة، وليس كل تصريف لها جائز.

إشكالية البحث :

يُشكل تحصيل القوة جاذبية كبيرة للبشر، فترى الذي يحوز عليها – في أغلب الأحوال – لا يعود طبيعياً بحيث تطغى عليه القوة ومظاهرها، فيُطيح بكل المحرمات من أجل استمرار اللذة التي يستشعرها من خلال صرف مقومات القوة داخل محيطه ومجتمعه، هذا التميز الكبير الذي تمنحه القُوَّة لحاملها يجْعَلُهُ مَحَلاً للتأثر بمفاعيلها، فمنهم من يُشبه نفسه بالحائز الكلي للقوة والعياذ بالله، ومنهم من يتحداه، وبالمقابل نجد منهم من يستثمر قوته في الدفاع عن مصالحه لحقه، وأهله، والمستضعفين في الأرض، وتكمن إشكالية البحث في خص المولى عز وجل على حشد الاستطاعة كلها من أجل حيازة القوة، هذه الحيازة الغرارة للقوة، من الممكن أن تطغى على فكر

الإنسان وكيانه، فتجعله يتخيل نفسة قوياً بما يكفي لتحدي إرادة الله، وفرض سلطانه على بني البشر مستقوياً على ضعفاتهم، ومذلاً لأكابرهم. فلا حرمة مفروضة من حيث المبدأ على تحصيل القوة، بل بالعكس هناك حض رباني على ذلك، والمؤمن القوي، والمجتمع القوي هما أحب إلى الله مما سواهما، إنما هذا التجميع للقوة هو الذي يخلق معضلة الاغترار بالقوة، وهي المسألة المحرمة، وهذا ما سنحاول جلاءة والإجابة عليه في هذا البحث، من خلال التساؤلات التالية :

١.ما هو مفهوم القوة في القرآن الكريم؟

٢.كيف من الممكن إذا أن يبقى الإنسان معصوماً من هذا الاغترار بالقوة وتدفق آثارها في حياته؟

٣.ما هي الدلالات القرآنية، والتوجيهات الربانية في مجال القوة وحيازتها؟

أهداف البحث :

تشهد في عصرنا هواناً غير مسبوق يعتري أمتنا الإسلامية، وضعفاً لا يليق بعباد الرحمن، وهذا ما دفعنا للتفكر في جواز عباداتنا وتقربنا إلى الله ونحن آخر الأمم تقريباً، وكم يعطي هذا الأمر سبباً للأمم الأخرى في النفور منا، ومن ديننا، والاستقواء علينا، ونحن ما بين من ينسب هذا الهوان إلى الأقدار وبين من يفعل الشرور وإذا سألته ألقى المسؤولية كلها على الشيطان الذي يقود الناس غصباً وقهراً للشرور والهوان، يقول المولى عز وجل: (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)[٤] وما دام كيد الشيطان ضعيفاً فمن أين يحوز على كل هذه القوة ؟ إنها بلا شك من البشر الذين منحهم الباري عز وجل القوة ليفعلوا بها الخير، منحها لهم اختباراً لهم وحجة عليهم، فحادوا بها عن غايتها إلى ضدها فطغوا وتجبروا وأصبحوا أولياء الشيطان، فشكلوا لمهمته التي تعهد بها والتي هي الإغواء قوة مضافة وجب على كل مؤمن التصدي لها، ومن هذا المنطلق وجب علينا كطالبي علم، وباحثين أن تبادر لإظهار النصوص القرآنية التي تحرّم على المؤمنين هذا الضعف وتحثهم على القوة.

أهمية البحث :

تأتي أهمية البحث من ذكر المولى عز وجل لها في القرآن الكريم أولاً، ولارتباطها الوثيق بواقع حياة الأفراد والجماعات، فالقوة شيء مطلوب وأساسي في الحياة، والدليل على ذلك أن النفس البشرية تتعلق بها وتطلبها، فالكل يطلب البدن القوي، والرأي القوي، والشخصية القوية، وأن يعيش في دولة قوية مهابة قادرة على حفظ كيانها، ومصالحها، وحفظ رعاياها أيضاً. لذلك فإن تبيان مواضع القُوَّة عند الإنسان المُؤمِن بحسب كلام رب العالمين سبحانه وتعالى، والكشف عن

مفاصل القوة لمجتمع المؤمنين بالله الموحدين، هو من الأهمية بمكان كي يكرس العلماء والباحثون الكثير من الوقت والجهد للبحث في مفهوم القوة وأنواعها وتصنيفاتها، ومن منطلق هذه الضرورة جاء هذا البحث المتواضع، الذي نرجو أن يكون فاتحة عمل إسلامي يُعوّل عليه، ويضع خطة نهوض أممية تليق بالأمة الإسلامية ورسالتها الحضارية، لتعود لحمل مشعل الحق والخير والتطور.

منهجية البحث:

سنتبع في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي في هذه الآيات القرآنية التي تشير الموضوع البحث وتحليلها والعودة إلى كتب التفاسير والمراجع المعتمدة، للوقوف على أقرب النتائج المعتبرة شرعاً وفقها بما يخدم موضوع البحث.

المبحث الأول: تعريف القوة وأنواعها

يختلف منظور النَّاسِ للقوة بحسب خلفية التعاطي الشخصية مع هذا المفهوم، لذلك نرى اختلاف التعريف من مصدر لآخر، وسنعتمد التعريف القرآني للمفهوم، وترسيه على أرض الواقع كي تستفيد من التوجيه الإلهي.

المطلب الأول: تعريف القوة لغويا وقرآنيا:

أولاً: التعريف اللغوي يقول ابن فارس: إن كلمة قوة تحمل معنيين متضادين، فالقوة من قوي الحبل، والمقوي: هو الذي أصحابة والله أقوياء، والمقوي: الذي يقوي وثره، ورجل شديد القوى، أي شديدُ أَسْرِ الخَلْقِ، وأما المعنى المعاكس فالقَوَاءُ: الأرض لا أهل بها، ويُقال: أقوتِ الدَّارُ أي خَلَتْ، وأقوى القوم، صاروا بالقواء والفي، ويقولون بات فلان القواء وبات القفر، إذا بات على غير طعم، والمقوي: الرجل الذي لا زاد معه. وهو من هذا، كأنه قد نزل بأرض قي[٥]. الأصل الأول الذي ذكره ابن فارس هو الأكثر استعمالاً في القرآن الكريم، وهو الذي يفيد الشدة والمنعة، وقد ذُكرت المواضع كلها تقريباً، أما المعنى المُضادُ الَّذِي يُفيدُ الفقر والجوع والوهن وقلة الخير، فلم يستعمل في القرآن إلا مرة واحدة في كلمة (المقوين) في قوله تعالى: انْحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ)[٦]، مما ينفي ما ذكره ابن فارس من هذا المعنى الغريب غير المستخدم، سيما وأن أغلب المفسرين فسروا كلمة "المقوين" الواردة في الآية بالمسافرين لأنهم نزلوا بأرض قواء[٧]. كما جاء في تفسير الطبرسي: إن لفظ المقوي من الأضداد، فيكون المقوي الذي صار ذا قوة من المال والنعمة، والمقوي أيضاً الذاهب ماله النَّازل بالقواء من الأرض.[٨]

بينما يعرف القوة الراغب الأصفهاني[٩] بأنها تستعمل تارة بمعنى القدرة كما في قوله تعالى: (خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بقوة)[١٠]، وتارة للتهيؤ الموجود في الشيء، نحو أن يُقال: النَّوى بالقُوَّة نخل، أي متهيئ

ومترشح لأن يكون منه ذلك. وتستعمل كذلك بمعنى الشدَّة في البدن تارة، كقوله تعالى (فَاعِينُونِي بِقُوَّةٍ، وَفِي شِدَّةِ التمسك القلبي بأمر ما تارة أخرى كقوله تعالى: يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّة)[١١]، وفي المعونة من الخارج تارة كقوله تعالى: (قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً)[١٢]، ولوصف القدرة الإلهية تارة كقوله تعالى: (إن الله لقوي عزيز).[١٣]

ثانياً: القوة اصطلاحاً: يكاد لفظ القُوَّة أن يكون مرافقاً لكل مفردات الحياة، فهو تعبير ساعي عن الحالة الفيزيولوجية التي يكون عليها الشخص خلال أوقات نهاره، فبقدر قوته يكون إنجازه، وفي هذا الإطار عرفها ابن عاشور بأنها كمال صلابة الأعضاء لأداء الأعمال التي تراد منه[١٤]، فنحن أشداء بقدر ما تمتلك من العزيمة لتنفيذ المهام والأهداف، فالقوة رصيد الطاقة التي تدخرها من أجل عمل ما، وبقدر هذا الرصيد يكون مركزك في الحياة.

من الملاحظ أن لفظ القوة في المعنى الاصطلاحي أتى أيضاً بعدة أشكال تحمل ذات المعنى في القرآن الكريم، منها:

١-الشدة: قال الله تعالى في وصف جبرائيل الأمين إنه صاحب قوى شديدة: (عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى).[١٥]

٢-البَأْسُ: قال الله تعالى: (فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا).[١٦]

٣-الغلظة: قال الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً: وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ).[١٧]

٤-الثقيل: قال الله تعالى: (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)[١٨].

٥-المتين: قال الله تعالى: (إِنَّ اللهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)[١٩]، والمتين هُوَ مِنْ يَمتَلِكُ مَتنا (صلباً) عظيماً، وهي كناية عن القوة والصلابة[٢٠].

٦-البَطْش: يقول الله تعالى: (وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ)[٢١]، وَبَطْشَ بِالشَّيْء أَخَذَهُ بِعُنُفٍ.[٢٢]

٧-الأيد: قال الله تعالى: (وَالسَّمَاء بنيناها بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)[٢٣]، والأيد هو القوة الشديدة.[٢٤]

٨-البأس: قال الله تعالى: (وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ)[٢٥]، والبأس القُوَّة والشدة.[٢٦]

المطلب الثاني: مصادر القوة في القرآن الكريم وأنواعها:

أولا : مصادر القوة :

يجب على المسلم أن يعلم علم اليقين، وقبل فوات الأوان، أن كل قوى الكون مستمدة من ربوبيته سبحانه وتعالى، وأنه أودعها خلقة كي يستثمروها حق استثمارها ويُسخروها في الأوجه المشروعة. لكن القوة المطلقة التي استودعها الله سبحانه وتعالى مملكته، والمستمدة حصراً مِنهُ

فَاضَتْ بحسب الضرورة والاستخدام في كيانات طاقية متعددة متنوعة بِحَسَبِ التصنيف التالي:

القوة الذاتية (الحد الأدنى): قسم المولى عز وجل رصيد القوة في السموات والأرض على مخلوقاته، فحصل كل منهم على رصيده منها، وذلك بغض النظر عن مدى استجابة هذه المخلوقات لمتطلبات العبادة والشكر، يقول المولى عز وجل: (كُلًّا نُمِد هؤلاء وهؤلاء مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ، وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا)[٢٧]، وبالتالي فكل خلق أخذ نصيبه المفروض من القُوَّة أو الحد الأدنى اللازم للوجود ضمن الخليقة، وعلى هذا فالحظوظ الذاتية متفاوتة بين أصناف الخلق، فالأسد نصيبه أوفر من نصيب الكبش، والجبل نصيبه أوفر من نصيب الغدير، حتى بين المجموعة الواحدة يكون نصيب الفرد نسبياً تبعاً للحالة التي عليها هذا الفرد، فالصبي المعافى الذي ينال حظه من لبن الأم سيكون أقوى من الطفل العليل محروم التغذية، غير أن الحد الأدنى الموضوع لاستمرارية الحياة يجب أن يكون في خدمة كل صنف بما يتفق مع مهام موجوديته.

القُوَّة المكتسبة: هناك قوة يحوزها الإنسان بالمران والاجتهاد، هذه القوة متوفرة فقط لمن يسعى إليها ملتزماً بشرائط الحصول عليها، قال الله تعالى: (وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ)[٢٨]، وَيُبَيِّنُ الله عز وجل هنا شرائط للقوة المكتسبة.

القوة المزعومة: هذا النوع من القوة هو غير متحصل عملياً، فالقوة هنا مدعاة، يُعبر عنها الذكر الحكيم بقوله تعالى: (لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاءِ جُدُرٍ: بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ: تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ)[٢٩]، فهؤلاء لا يُقاتلون المسلمين إِلَّا مِنْ خِلَالِ حُصُونِهِمُ المُعَدَّةِ المنيعة، مظهرين بأسهم فيما بينهم، لكنهم جبناء فرارون.[٣٠]

القوة المدعومة: وهي القوة الإضافية التي يُرسلها الله إلى خواصه عند اللزوم، وهي قُوَى مُتنوعةٌ بِحَسَبِ الهَدَفِ منها، فقد تكون قوى مدمرة كالرياح والحصباء والفيضانات والصواعق، وعندما تنظر إلى بعض الجنود مثل (الصيحة، الحاصب الريح الخسف الغرق ترى أنها تحركت بأمر الله وكلماته)، كما هو في قوله تعالى: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مِّنْ أَغْرَقْنَا)[٣١]، فكانت الصيحة جندياً مُهلِكاً لِقَومي مَدْيَنَ وَثَمُودَ، وَالحَاصِبُ جُندياً ربانياً مهلكاً لقوم لوط، والريح جندياً مهلكاً لقوم عاد، والخسف جندياً مهلكاً لقارون، وكان الغرق جندياً مهلكاً لفرعون[٣٢]، ومنها ما يكون قوة مقاتلة تؤازر الخواص في حربهم، يقول تعالى: (إذ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِين).[٣٣]

محصلة القوى: يقدر الله سبحانه وتعالى بسبب وهن القائمين على حماية المستضعفين أن يُواجه أهل الشرور ببعضهم، بحيث تكون محصلة القوى في النهاية صفراً، يقول الله تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا)[٣٤]، إن هذه الحالة الثابتة من تجابه القوى تلجم قوى الشر وتجعلها هيابة من الإقدام على الاعتداء على غيرها من الدول المستضعفة تحسباً لتنازع المصالح.

ثانيا: أنواع القوة:

القُوَّة الفرديـة: وهي القوة التي يستخدمها الفرد في سبيل تحقيق متطلباته اليومية، سواء أكانت اعتيادية أم مميزة، باعتبار أن الفرد بذاته يصرفها ويستفيد منها. يقول الله تعالى عن يوم القيامة، حينَ يَنقَطِعُ رصيد القُوَّةِ عن الإنسان الفرد فلا يستطيع متابعة أي شيء من أعماله الاعتيادية لا بذاته ولا بغيره: (يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ ولا ناصر)[٣٥]، فبمفهوم المخالفة يتبين لنا أن الفرد يحصل يومياً على رصيده من القُوَّة من الله سبحانه وتعالى مباشرة، وبانتهاء الحياة وقيام الساعة ينقطع إمداد الفرد بالقوة، فيتوقف عن خدمة ذاته، كالآلة التي فَرِغَتْ من الوقود.

القوة الجماعية: يقول الله تعالى: (يد الله فوق أَيْدِيهِمْ)[٣٦]، يقول الطبري في تفسير هذه الآية: قُوَّةُ الله فوق قُوَّتِهِم في نصرة رسوله صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم إنما بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على نصرته على العدو[٣٧]. إذا فأي تجمع للقوة يستتبع وجود الله معه إذا كان في خدمة أهداف الإنسان في الوجود، والآية تدلل على ذلك بلا شك. والعكس صحيح، فإذا كان تجمع القوة هداماً فهذا يعني أن الله لا يُباركه بل يتربص به، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)[٣٨]، يقول الطبري أيضاً في معرض شرح هذه الآية: ذكر من قال ذلك: حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: (إِنَّ رَبَّكَ لَبِالمرصاد) يقول: يَرَى ويسمع، وقال آخرون: يعني بذلك أنه بمرصد لأهل الظلم[٣٩]. أي أن الله موجود مع تجمع القُوَّة لكن بالجهة المعاكسة، يترصدهم متى تجاوزوا الخطوط الحمراء، فَبَغَوا وعثوا عنواً كبيراً، تدخل بنفسه أو بجنوده، قدمرَهُمْ تدميراً.

القوة الإيجابيـة: رياضياً وبحسب قانون التوازن الرباني، فإن كل شيء موجود في هذا الكون موجود بمقدار، قال الله تَعَالَى: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)[٤٠]، وهذا القدر يجب أن يبقى متوازناً بحسب قانون الميزان، يقول الله تعالى: (وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزان)[٤١]، فالقوة في الكون طاقة مجردة موضوعة لخدمة أهل الأرض، لكن منها ما يحقق هذه الغاية، فتسميه القوة الإيجابية، لأنها صرفت على النحو المشروع، وفي الوجهة التي أرادها الله سبحانه وتعالى، ومن أشكال هذه القوة الإيجابية:

١-السعي لاكتساب الرزق: يقول الله تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللهِ).[٤٢]

٢-الكدح: يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ)[٤٣]، قَالَ المُفسرون: الكدح بمعنى جهد النفس في العمل والكد فيه، والآية تشير إلى أصل أساسي في الحياة البشرية، وهو أن الحياة دوماً ممزوجة بالتعب والعناء، وقد جبلت على المشقة والتعب، وما ذكر في لقاء الله في الآية إلا لتبيان أن حالة التعب والغناء والكدح حالة مستمرة إلى اليوم الموعود، ولا يتوقف إلا بانتهاء عجلة حياة الدنيا.[٤٤]

٣-العبادة: يقول المولى عز وجل: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)[٤٥]، فالعبادة هي من أهم أوجه استغلال وصرف القوة في الأوجه الإيجابية التي افترضها الله على عباده، والعبادة هي جوهر الحياة.

٤- الجهاد في سبيل الله ونصرة الضعيف: قال الله تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)[٤٦]، فَفِي الآية إشارة واضحة إلى لزوم صَرْفِ الرصيد منَ القُوَّةِ في ردّ العدوان، وتحذير من الله لِمَنْ تُسَوّل له نفسه صرف رصيد القُوَّةِ المُتَجَمِعِ لِلأُمَّةِ في الاتجاه المعاكس.

٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وجه الله تعالى جماعة المؤمنين إلى ضرورة حفظ النظام العام في الديار الإسلامية عن طريق إنشاء قُوَّة خبيرة ومدربة تمتلك العلم بالأحكام الشرعية، والمقدرة على فرض النظام، قال الله تعالى: (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ: وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٤٧] وهذه الجماعة ربما يُمكن أن تكون متطوعة لفعل ذلك.

٦-الأخذ بالأسباب: ربما يظن بعض النَّاسِ خطأ أن الأخذ بالأسباب هو أحد معاني التوكل، فالتوكل هو تقويض الله بالاختيار وتهيئة فرص التوفيق والنجاح للساعي أو الأخذ بالأسباب، وبالتالي فإن التوكل هو مرحلة لاحقة ومستقلة عن مرحلة الأخذ بالأسباب، ولا أدل على هذا الكلام من الحديث النبوي المشهور حين سأله الأعرابي: أرسل ناقتي وأتوكل؟ فأجابه "اعقلها وتوكل[٤٨]. وحرف العطف هنا يفرق بين الفعلين، ألا وهما العقل أو الربط والتوكل، فلا يُمكن أن يتراءى لذي حجي أن الله سيقوم عنك بالمهمات التي أوكلها إليك، ولكن الله بعد أن يرى صنعك، وكيفية استخدامك للقوة التي يسرها لك، لن يتركك وحدك، وسيُؤيدك بتوفيقه وتسديده، حتى وإن لم تلمس ذلك مادياً في دنياك فإنَّه في آخرتك مذخور لك.

٧- إقامة العدل: إن تهيئة الظروف للعيش في الأرض هي من أهم مظاهر تجلي القوة الإيجابية، وإن إقامة العدل في هذه الأرض هو من أهم هذه الظروف، وعليه فإن الله أكد على إقامته في ديار المسلمين، إذ قال جل وعلا: (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ).[٤٩]

المبحث الثاني: حساسية التعامل مع القوة:

القوة كما مر معنا –منتج رباني صرف، لم تتغير صفاته كثيراً ليلائم أوضاعنا البشرية، بل بقي صفة ملازمة للخالق سبحانه، أمد عباده ببعض القوة يتداولونها فيما بينهم، يقول السيد محمد حسين فضل الله: لن تقف القضية عند هذا الحد من تقرير هذه العقيدة في تفكير الإنسان ووجدانه، بل تحاول أن تجعل منها لازمة يومية يعبر عنها في حالات الضعف والاستسلام أمام أحداث الحياة. ولعل أوضح صورة تعبيرية عن ذلك، هي العبارة المعروفة.[٥٠]

المطلب الأول: تعريف الغرور والطغيان وكيفية تسللها إلى قلب الإنسان:

أولاً: الغرور: من أكبر المفاسد الأخلاقية التي يتعرض لها الأفراد وكذلك المجتمعات الغرور، ذلك الداء الذي يدل على نقصان الفطنة وطمس نور العقل والبصيرة، فينخدع العبد بما أتاه الله من أسباب القُوَّةِ والجمال وحطام الدنيا الفاني؛ فيتعالى على الناس ويتكبر ، ثم يتكبر على ربه وخالقه ومولاه، فَلا يَخضَعُ له ولا يقوم بواجب العبودية، بل يسير وراء شهواته ونزواته غير عابئ بنظر الله إليه، غير مكترث بِالنَّاسِ مِنْ حوله، فقد زينت له نفسه، وبررت له الأخطاء، والله عز وجل يقول: (يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ)[٥١]. يقول العلامة الطبطبائي : وقد علق الغرور بصفتي ربوبيته وكرمه تعالى ليكون ذلك حجة في توجيه العتاب والتوبيخ فإن تمرد المربوب وتوغلة في معصية ربِّهِ الَّذِي يُدبّر أمره ويغشيه نعمه ظاهرة وباطنة كفران لا ترتاب الفطرة السليمة في قبحه ولا في استحقاق العقاب عليه، وخاصة إذا كان الرب المنعم كريماً لا يُريد في نعمه وعطاياه نفعاً ينتفع به ولا عضوا يقابله به المنعم عليه، ويسامح في إحسانه ويصفح عما يأتي به المربوب من الخطيئة والإثم بجهالة، فقد جاء في معجم المعاني: الغَرُورُ: مَا يَخْدَعُ وَيَغُرُ الإِنْسَانَ أَوْ يُسَبِّبُ انْخِدَاعَهُ مِنْ مَالٍ أَوْ جَاهٍ أَوْ شهوة[٥٢]، فالإنسان يقع ضحية للغرور وقتما يظن أن ما لديه من نعماء وقوة إنما هو ذاتي المنشأء وينسى أن مرجعية ذلك للخالق العظيم، وأنه مُجرَّبٌ مُمتحن فيما هو فيه. والسبب في ذلك قصور التحكم بالعقل كما أسلفنا.

والغرار: النقصان، ومنه: غرار النوم: قلته، ونقصان لبن الناقة[٥٣]. وجاء في الحديث الشريف: لا غرار في صلاة، ولا تسليم[٥٤]، ومعناها عدم تأدية الصلاة ناقصة. وبهذا المعنى يكون الغُرور

نقصان في الحكمة والمحاكمة العقلية يرجح لدى (المغرور) صفات إيجابية دوماً، وينفي عنه الصفات السلبية، من دون الاستناد إلى المنطق، وإنما فقط إلى المحاكمة العقلية الذاتية الغرور آفة عقلية قريبة من الجميع، فالنفس البشرية مجبولة عليها، قلما ينجو منها إنسان، يقول في ذلك الإمام الغزالي: الغرور لازم لجميع المكلفين والمؤمنين والكافرين إلا مَنْ عَصَمَهُ اللهُ ربُّ العالمين.[٥٥]

فإن هذا النقص الذي يطرأ على عقل الإنسان ويجعله يُخطئ في محاكماته هو هذا التمسك المادي بالدنيا رغم أنها زائلة فانية، وتصديق أحابيل ومكائد الشيطان رغم التحذير منه مراراً من قبل الخالق عز وجل. وبالطبع فإن الشيطان بعد أن يؤدي دورة في التغرير بضحيته ينسحب من المسألة برمتها هازئاً ضاحكاً من تلك الضحية قليلة الفهم (المغرورة)، يقول الله تعالى: (وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ منكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ).[٥٦]

والمفارقة العجيبة في هذا التخلي من الشيطان عن أولئك المغرورين بِهِ، أَنَّهُ يُذكِّرُهُمْ بِوضوح بضعفه أمام صاحب القوة الأساسي الجبار العظيم، ولكن هيهات أن ينفعهم ذلك، فقد وقعت الفأس في الرأس. يقول في ذلك العلامة الطبطبائي: وليس من البعيد أن يكون قوله: (وقال لا غالب لكم اليوم) الآية مفسراً أو بمنزلة المفسر للتزيين الشيطاني على أن يكون المراد بالأعمال نتائجها وهي ما هيأوه من قوة وسلاح وعدة وما أخرجوه من القيان والمعازف والخمور، وما تظاهروا به من نظام الجيش والجنائب تساق بين أيديهم، ويُمكن أن يكون المراد بها نفس الأعمال وهي أنواع تماديهم في الغي والضلال وإصرارهم في محادة الله ورسوله، واسترسالهم في الظلم والفسق فيكون قولة المحكي: لا غالب لكم اليوم من النَّاسِ) مما يتم به تزيين الشيطان، وتطيب به نفوسهم فيما اهتموا به من قتال المسلمين، وقد أكمل ذلك بقوله: (وإني جاز لكم). والجواز من سنن العرب في الجاهلية التي كانت تعيش عيشة القبائل، ومن حقوق الجوار نصرة الجار للجار إذا دهمه عدو، وله آثار مختلفة بحسب السنن الجارية في المجتمعات الإنسانية.[٥٧]

ثانيا: الطغيان: تأتي المرحلة الثانية بعد الغرور، وهي المرحلة الأشد قتامة وظلاماً، ألا وهي الطغيان، والطغيان هو تجاوز الحد، وخروج الحالة عن السيطرة، يقول المولى عز وجل: (إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الجارية)[٥٨].

أسباب الوصول إلى حالة الطغيان عديدة، أهمها: الاستغناء عن حضور الخالق في حياة المرء، يقول الله تعالى: (كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى)[٥٩]، وفي هذا يقول الشيخ القمي: قال: إن الإنسان إذا استغنى يكفر ويطغى ويُنكر[٦٠]، وبنحو ذلك قال الفيض الكاشاني[٦١]. وكذلك إيثار الحياة الدنيا

على الآخرة، ومجالات التفضيل هذه عديدة، فالإنسان السوي يختار دائماً أخرته، ويقدم لها في دنياه، بمعنى أنه يختار دنياه من آخرته، لا يختار دنياه على آخرته، يقول الله تعالى: (فَأَمَّا مَن طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى)[٦٢]، إذا فنتيجة هذا الطغيان محسومة، وهي الخلود في الجحيم. وأخيراً فإن الإفساد في الأرض كضرب من ضروب استهلاك القوة الممنوحة من قبل الله يؤدي إلى الطغيان يقول الله تعالى: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادِ}[٦٣]، فالطغيان نتيجةً حتمية لاستثمار القوة في غير ما وهبت لأجله، وهو نتيجة حتمية للغرور وسوء المحاكمة العقلية والظن بأن الحائز على القوة هو مصدر هذه القوة، مما يؤدي بالنهاية إلى حالة الطغيان.

المطلب الثاني: نماذج لكيفية وصول الطغاة والمتجبرين لهذه النتيجة:

يعطينا القرآن الكريم العديد من نماذج الطغاة والمتجبرين، مع تباين الأسباب التي أوصلت أصحابها إلى هذا الحال:

أولا: نموذج الطغيان الفرعوني: قال الله تعالى في فرعون في معرض عرض المهمة الموكلة لموسى وهارون عليهم السلام: (اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى)[٦٤]، فَصِفة الطغيان هي من أهم صفات الكفر عند فرعون، وإن دراسة وتحليل الظاهرة الفرعونية تقودنا إلى تجليات هذا النوع من الطغيان من الناحية العملية:

فرعون مفسد: قال الله تعالى: (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ - فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ - إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)[٦٥]، ففرعون استضعف الناس وجعلهم شيعاً، واستعبدهم، وعلا عليهم بغير حق، يقتل أطفالهم الذكور، ويستبقي الإناث، قال الله تعالى: (إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ: إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)[٦٦]. فهذا النموذج الإفسادي الذي أتاه فرعون وسمة بهذه السمة القياسية، بحيث إن كل من يأتي مثل هذه الأفعال إنما يكون فرعونا في كل الأزمنة والأمكنة.

فرعون متكبر: كما مارس فرعون الاستكبار سياسة منهجية لحكمه، يقول تعالى: (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِ)[٦٧]. والاستكبار والكبر يتضح من اسمهما أن صاحبهما يرى في نفسِهِ أَنَّهُ أكبر من كل قضية مهما كانت أهميتها وأعظم من أي شيء مما يحيط به من قضايا مصيرية تهمُ النَّاس والمجتمع، وهذا بلاء عظيمٌ يُبتلي به أصحاب القُوَّةِ، فَالقُوَّةُ التي يَسْرَها اللَّهُ لَهُمْ يَجِبُ أَنْ تُصَرَفَ في أما أن ترتهن هذه القوة لمصالح فرد على حساب الجماعة فهذا هو الاستكبار، وهذا انعكاس للغرور والطغيان.

فرعون مدع: قاد الطغيان فرعون إلى ادعاء ما ليس له بحق، عندما هيأ له الغُرور أن القوة التي

يحوزها إنَّما هي ذاتية المنشأ، وبالتالي فهذا الاعتقاد بأنه هو مصدر قوته حمله على ادعاء الربوبية، وبغض النظر

إن كان مصدقاً لما يدعيه أم لا، فهذا لا يبرئه من جريرة فعله، يقول الله تعالى: (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى)[٦٨]، يقول القمي في تفسيره: وقال علي بن إبراهيم في قوله (فَحْشر) يعنى فرعونُ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى والنكال العقوبة، والآخرة هي قوله: أنا رَبُّكُمُ الأعلى والأُولى قوله ما علمت لكم من إله غيري، فأهلكه اللهُ بِهَذَينِ القولين.[٦٩]

ثانياً: نموذج الطغيان عند قوم عادٍ: إن قوم عاد، قوم جبارون بنوا حضارة عظيمة لم يسبقهم إليها أحد من أهل الخضر في منطقة الأحقاف في شبه الجزيرة العربية، قال الله تعالى عنهم: (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّة)[٧٠]، وتظهر الإشارة واضحة في الآية الكريمة إلى القوة، والاغترار بالقوة والطغيان ومحاولة فرض الأمر الواقع على المستضعفين، ويأتي التأكيد على ذلك مرة أخرى في قوله تعالى: (وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِعَادٍ قوم هود)[٧١]، فأسلوب عاد مشابة إلى حد ما لأسلوب فرعون من غير ادعاء الربوبية، لكنهم أنكروا وجحدوا ربوبية الخالق، وأنكروا رسالته، فكفروا، وابتعدوا عن ذكر الله وهذا ما أشرنا إليه سابقاً، من أن الطاغية يستغني عن ذكر الله، ويبتعد عن خالقه لظنه بأنه يستطيع أن يستغني بقوته عن خالقه، فتجبر قوم عاد بقوتهم، وفرضوا نظام عقيدتهم على الناس واضطهدوا المؤمنين، وحاربوا سيدنا هودا عليه السلام.

ثالثاً: نموذج الطغيان عند قوم لوط: إن حالة الطغيان لا تستند إلى حالة فكرية فقط، بل يُمكن أن تكون مبنية على شذوذ شهواني يحمل الإنسان إلى اتباع ما يهوى بطريقة يُطيح معها بكل عقل ومنطق، ناهيك عن الضمير والأخلاق والدين، فقوم لوط اتبعوا شهوة غريبة عن السلوك الإنساني في تلك الأيام، قال الله تعالى: (وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ)[٧٢]، وعظ لوط عليه السلام قومه، ووعدهم بالعذاب من الله تعالى – إن لم يتوبوا عن أفعالهم، فهددهم بالرجم، وأحياناً بالإخراج، لما كانوا يفعلونه من المنكر واللواط[٧٣]، فعضوا وعائدوا رسولهم واتَّبعوا طغيان شهوتهم وقالوا: (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)[٧٤]. إذا فالنموذج الذي اتَّبعه قوم لوط هو طغيان الشهوة، وترك العقل تبعاً لذلك.

رابعاً: نموذج الطغيان القاروني: هناك من يطغى بأمواله، فالغنى هو نوع من حيازة القوة، فقد

يكون الإنسان مهيضاً ضعيف القوى ولكن بامتلاكه المال يستطيع أن يستأجر أولو قوة يرفدونه في تحقيق ماربه، وقارون كان صاحب مال أطغاه وأخرجه عن جادة العقل، وبالتالي أخرجه من دائرة الإيمان، قال الله تعالَى: (إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ)[٧٥]، وأهم ما نلاحظه في الآية الكريمة هو لفظ (بَغَى) التي تحمل نفس معنى (طغى) تقريباً، فقد جاء في معجم المعاني: بغى فلان بعياً: تجاوز الحد واعتدى، وكذلك طفى طعياً، وطغياناً: جاوز الحد المقبول[٧٦]، وهذا يؤيد بنسبة كبيرة ما تحاول إثباته في هذا البحث. إذا فطغيان وبغي قارون بماله على قومه استتبع منهم تنبيهه إلى أنه تجاوز الحد، وبدأ يخرج من دائرة الإيمان، فأجابهم بمنتهى الصَّلَفِ والطَّغْيانِ: (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي، أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا، وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ)[٧٧]، لقد أجاب قومه أن مصدر ماله ذاتي، وليس من الله فأجابه الله سبحانَهُ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أهلك من قبله. مَنْ هُوَ أَشَدُّ منه قوة وأكثر جَمْعًا، إذاً فالأساس في الطغيان هو عنصر القوة، التي تتحور في قلوب حائزيها إلى أشكال عديدة.

خامسا: نموذج الطغيان عند بلعام بن باعوراء: ويُمكن أن يكون الطغيان بالعلم، فالعلم يُكسب صاحبة القوة في الحكم، والقوة في التبصر، والقوة في الرأي، ويُكسبه اتباع الناس له، فإذا اغتر صاحب العلم بعلمه، وطغى بحكمه على نفسه فاعتبر أن علمة ذاتي المنشأ، فحكمه حكم فرعون وقارون وغيرهم، وخير مثال نسوقه على هذا قصة عالم بني إسرائيل، بلعام بن باعوراء، رجل من بني اسرائيل، عاش في زمن موسى عليه السلام، قِيلَ إِنَّهُ هُوَ الْمَعْنِي بقوله تَعَالَى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[٧٨]، وكان في مَجْلِسِهِ اثنتا عشرة أَلْفَ مِحْبَرَةٍ لِلْمُتَعَلِّمِينَ الَّذِينَ يَكْتُبُونَ عَنْهُ، وكان أول من ألف كتاباً أن ليس للعالم صانعا[٧٩]، وهناك العديد من الروايات عن مقام بلعام العلمي.

المبحث الثالث: حتمية التدخل الإلهي في الانتقام من الطغاة والمتجبرين:

سبق وذكرنا مدى الخطورة التي يسببها الاغترار بالقوة، والطغيان الذي يحول بشراً ضعفاء إلى طواغيت

تفرض عقيدة مشوهة على البشر المستضعفين، مما يستدعي بالتالي تدخلاً مباشراً لصاحب القوة الأساسي، لأن هذا الأمر ليس اعتداء على عباد الله فَحَسْبُ، وإنَّما هو محاولة لتحدي الله في ملكوته، والله سبحانه وتعالى لا يرضى هذا من مخلوقاته، فيعجل لهم العذاب، ويدخر لهم مثله

أضعافاً للآخرة، ولا ينحصر التدخل الإلهي بالظواهر الطبيعية فقط، بل قد يكون على يد عباده المخلصين.

المطلب الأول: التدخل الإلهي المباشر عن طريق الخوارق والظواهر الطبيعية:

يتدخل الله سبحانه وتعالى للجم الطغيان بشكل مباشر، عن طريق الخوارق، لأن استمرار الطغيان هو تحدٍ مباشر للذات العلية، ومحاولة لمشاركة الله هيمنته على كرسيه، وهذا ما لا يرضاه جبار السماوات والأرض، فيتدخل دون انتظار عباده ليرد الحال إلى طبيعته، وسنستعرض بعض الحالات الدامعة للتدخل الإلهي المباشر:

تدخل الله في الحالة الفرعونية: قال الله بهذا الخصوص مما يُستشف منه القانون العام: (وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ * فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ - فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ)[٨٠]، وانتقام الله من فرعون كان بعد طول إمهال وحلم، وجدال عقيم مع نبي الله موسى، فالله سبحانه وتعالى يعلم بعلمه الواسع أن فرعون سيطغى، ولكن اللهَ يُقِيمُ الحُجَجَ على خلقه كي تكون هناك مساءلة عادلة، وبالتالي فلن يتدخل الله بقوته وجبروته إلا حين يهم الطاغية ويدفع بالمقابل بقوته وجبروته، وتستطيع أن نذكر هنا قول الله تعالى لأبي جهل بن هشام: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ)[٨١]، فالتدخل هنا لصالح النبي محمد (ص) مشروط برج أبي جهل لناديه في المعركة بوجه رسول الله الأعزل إلا بما يملكه من إيمان، فهذا هو الطغيان بأجلى صوره وبالتالي فالله خصيم الطاغية، وهو الذي يُرسل سوط عذابه يسيط به هؤلاء الطغاة، وفرعون هنا زج بكل جبروته وطغيانه في المعركة بمواجهة الغزل الضعفاء، وأتبع موسى وقومه إلى الدرب اليباس داخل البحر، (فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُم مِّنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ)[٨٢]، فتم إغراق فرعون بتدخل مُبَاشِرٍ من المولى عز وجل، ولم يسند الله سبحانه هذه المهمة إلى أحد من خلقه، بل فعلها بجبروته، محققاً وعده الذي وعده رسلهُ: (كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)[٨٣].

وتلاحظ في الآية الكريمة أن هذا القانون (مكتوب) أي أنه غير قابل للتبديل أو التحوير، وأنه مرتبط بالقُوَّةِ مباشرة، لذلك يذكرنا الله في آخر الآية بأنه هو القوي العزيز.

ثانيا: تدخل الله في حالة عاد وثمود: تمثل هذه الحالة أيضاً مثلاً نموذجياً، ومصداقاً مهماً لما نريد إيصالة، فالله سبحانه وتعالى يعطينا تنبيهاً كي نعقل الحالة، فيقول جل شأنه: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ * إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ * الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلادِ * وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ * الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلادِ " فأكثروا فيها الْفَسَادَ - فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ • إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ)[٨٤]، فالتساؤل الرباني هنا (ألم تر؟ هو تساؤل للنبي صلى الله عليه وسلم، والمقصود به الطغاة –على مبدأ وإياك أعني –عن كيفية مرور هذه الأحداث في أذهانكم أيها الطغاة بدون توقف وتلبث، ومن دون دراسة

واعية لما حصل لعاد وثمود، وكيف أن الله صب عليهم العذاب صَباً. يقول السيد البحراني في تفسيره: ثم قال علي بن إبراهيم: قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ألم تر أي ألم تعلم كيف فعل رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُها في البلاد، ثم مات عاد، وأهلك الله قومه بالريح الصرصر. وقوله تعالى: (وَثَمُودَ الَّذِينَ جابوا الصخر بالواد، أي حفروا الجوبة في الجبال)[٨٥].

والمعنى أنه بعد كل هذا يتطاول الإنسان على خالقه، ويطغى كسيرة هؤلاء آمناً مطمئناً من انتقام الله عز وعلا؟ فالانتقام أمر محتوم وتدخل الله سبحانه في هذه الحالة لا شك فيه. فالله بالمرصاد لمن طغى ومارس طغيانه على العباد، والرَّصْدُ الرباني هو رصد دائم غير منقطع، ولا يحتاج آليات ومتطلبات مضنية كما هو حال الرصد عند البشر، فالله مطلع على كل شيء، وبالتالي فالرصد هو آلية ذاتية، تسير مع أي سيناريو حياتي، والتدخل الرباني إذا أمر محتوم في أي سيناريو يتكرر فيه هذا الطغيان الذي تذكره السورة المباركة.

ثالثاً: تدخل الله في حالة قارون: ذكرنا كيف طغَى قارون بملكه، وتورد الآن تدخل الله في حالة قارون، ووضع حد لطغيانه، قال الله تعالى: (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ)[٨٦]، فلم تنفع قارون أمواله، ولا عبيده الذين يحملون مفاتح خزائنه، ولا قصره ولا فنته، فأي شيء من هؤلاء، أو حتى من غير هؤلاء يصمد أمام تدخل الجبار العظيم، فابتلعته الأرض هو ودارة وأمواله فأصبح أثراً بعد عين.

وتشاهد اليوم طغيان المال الذي تربع على عرش القلوب وسيطر على الأسواق العالمية، وهذا ما نلاحظه في كثرة البنوك والشركات الربوية، ويسر التجارة، وسهولة المعاملات التي وفرها العقل البشري الذي حول العالم إلى قرية صغيرة، وهناك دول تحصنت بقوتها واقتصادها، واغترت بما عندها قال أمرها إلى البوار والهلاك، وهناك دول ما زالت تسيطر على خيرات الشعوب مثل أميركا – وتهيمن على باقي دول العالم، وتتحكم عن طريق دولارها بباقي العملات، مما يجعل كل خسارة في الولايات المتحدة لها تداعياتها على باقي دول العالم – وهذا ما حدث مؤخراً، حيث انهار الاقتصاد الأميركي فجأة مخلفاً أزمة اقتصادية عالمية شديدة ما زالت تلقي بظلالها على باقي دول العالم حتى الآن وما نراه اليوم من بوادر سقوط النظام الرأسمالي، ما هو إلا مقدمة لهلاك تلك الدولة وغيرها من الدول، وما حدث مع قارون وفرعون في الماضي، سيحدث معها ومع غيرها في المستقبل، لأنهم ساروا على نهجهم، ولم يأخذوا العبرة مما حل على أسلافهم.[٨٧]

رابعاً: تَدخُلُ اللهِ في حالةِ بَلعَامَ: في حالة بلعام الذي طغى بعلمه، هناك عدة روايات في الحقيقة عن الانتقام الإلهي الذي لحق به، وفي جميعها ارتد شره إلى نحره، يقول العلامة المجلسي: (عن سليمان اللبان قال: قال أبو جعفر أندري ما مثل المغيرة بن سعيد؟ قال: قلت: لا، قال: مثله مثل

بلغم الذي أوتي الاسم الأعظم الذي قال الله: "آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين. بيان: قال الشيخ الطبرسي رحمه الله: آياتنا " أي حُجَجَنَا وبَيِّنَاتِنا" فانسلخ منها " أي فخرج من العلم بها بالجهل كالشيء الذي ينسلخ من جلده "فأتبعه الشيطان" أي تبعة، وقيل: معناه لحقه الشيطان وأدركه حتى أضله "فكان من الغاوين" أي من الهالكين)[٨٨]، إذا فحتمية التدخل الإلهي لمواجهة الطغيان أمر محتوم كما ذكرنا، وإن القصص في هذا الشأن أكثر من أن يتسع لها المجال في هذا البحث، لذلك نكتفي بإيراد هذه الحالات.

التدخل الإلهي غير المباشر: أخبرنا المولى عز وجل في كتابه العزيز، أن هناك طرقاً غير مباشرة يفرضها الله عز وجل على العباد ترسو فيها حالة السكينة، ويتم لجم الطغيان بموجبها، وهي حالة دفع النَّاسِ بِالنَّاسِ، يقول الله تعالى: (وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللهِ كَثِيرًا)[٨٩]، ولولا حرف امتناع لوجود، وهذا يحضر حالة السكينة فيما خلا التدخل الإلهي المُباشر الذي سبق بحثه – بحالة الدفع، وحالة الدفع هذه كانت سائدة دائماً في عالمنا، يشعرُ النَّاسُ خلالها بالأمن والأمان، تماماً كما أشارت الآية الكريمة، وخير مثال من تاريخنا المعاصر على ذلك حالة الحرب الباردة التي دامت قرابة أربعين سنة ونيف، في فترة الحرب الباردة لم تسمع باجتياح البلد – إلا فيما ندر – كما حصل بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وتحول العالم لنظام أحادي القطبية تقوده الولايات المتحدة الأمريكية

المطلب الثاني: تسليط الله عباده على المتجبرين ونصرة المظلومين شعار إسلامي:

ربما يظن البعض أن نصرة القضايا الإنسانية شأن لا علاقة له بالإيمان، أو أنه خيار إنساني وليس منعكساً يعكس مدى رسوخ الإيمان في قلب الجماعة المؤمنة، فالله تعالى يوجه المؤمنين بالقول الواضح إلى مواجهة الظالمين، حتى وإن لم تكن القضية قضيتهم، إذا فنصرة المستضعفين هو شعار إسلامي قبل أن يكون شعاراً أممياً يتباهى به أهل المروءة، وسنبين فيما يلي أهم الأدلة على وجوب الصرة المظلوم في العقيدة الإسلامية:

أولاً: القتال في سبيل المُستضعَفينَ وَاجِبٌ: قال الله تعالى: (وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نصِيرًا - الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا)[٩٠]. ويبدو واضحاً من النص القرآني أن القتال لا يكون إلا في سبيل الله وفي سبيل قضايا المستضعفين الذين يستغيثون الإله الواحد، فمتى حصلت هذه الاستغاثة وجب على المسلمين نصرة هؤلاء، وإلا كتبوا عند الله من المتخلفين عن النصرة. وقد بين الله سبحانه الفرق بين المسلمين وأعدائهم، أن المسلمين يقاتلون في سبيل الله في الحالتين اللتين ذكرناهما)، بينما أعداؤهم يقاتلون في سبيل

الطاغوت، وقد بينا سابقاً أن الطاغوت هو طغيان للقوة عند فرد أو جماعة له أشكال عدة بيناها أيضاً.

يقول السيد فضل الله: في رأينا: إن الموقف الإسلامي الحق هو في خط التمرد والتحرك من أجل تغيير واقع الظلم والطغيان. فالضعف ليس مشكلة تستطيل على الحل، وليس عُذراً يُبَرِّرُ للإنسانِ التَّقَاعُسَ والضعف والانهزام، إلا على أساس سياسة المراحل. كما يُحاول السيد فضل الله أن يُعطي تفسيراً موسعاً لآية الإذن بالقتال في سورة الحج (أذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتلون بأنهم ظلموا ....) إذ يقول: يحاول القرآن الكريم أن يثير لدى المظلومين الضعفاء، الشعور بضرورة الوقوف موقفاً إيجابياً في مواجهة الظالمين، من أجل مقاومتهم وتحطيم قوتهم، فَيَأْذَنُ لَهُمْ بِالقتال دفاعاً عن حق بقائهم في ديارهم، وفي حرية ممارستهم للعقيدة التي يؤمنون بها.[٩١]

إذا فالأمر الإلهي له وجهان، لا يجوز للمسلمين أن يكونوا مضطهدين بذاتهم، ولا يجوز أيضاً أن يقبل المسلمون بأن يُضطهد أحد، وعليهم النصرة إذا ما ثبت لديهم الاستضعاف لفئة ما، وهذا الأمر لا مناقشة فيه، وكون المسلمين يناقشون مثل هذا الأمر الإلهي البين، فسيبقى المسلمون خلف الأُمَمِ.

ثانياً: قتال الفئة الباغية: يقول الله تعالى: {وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ)[٩٢]. إن الخلاف بين البشر حتى وإن كانوا من أصحاب الهمم – أمر وارد، وبالتالي فأي نزاع لا بد له من فريقين، فريق مصيب وفريق مخطئ، وهذا هو المنطق، وإن نظرية (اجتهد فأخطأ) إنَّما وَضَعَها أهل الرواية للتعمية على هذه الآية العظيمة التي لا تسمح بالشطط، ولا بالبغي بين المؤمنين، وبالتالي فإن الباغي يجب أن يُوقف عند حده بأمر الله، ولا اجتهاد في هذا، ولا استثناء، كائناً من كان، طبعاً فإن الآية الكريمة تتبع التدرج في الحكم، إذ يجب بداية الإصلاح فيما بين الفئتين، وحل النزاع بالطرق السلمية بالتحكيم السليم أو القضاء العادل، فإن لم يرتدع الباغي، فعلى المسلمين اللجوء إلى القوة لإيقاف هذا البغي[٩٣]. هذا ويحضر بعض الفقهاء خطأ مسألة البغي بالخروج على إمام الزمان وهذا بالتأكيد بغي بحيث يشكل كل أنواع الظلم والطغيان الممارس من فئة على أخري من المؤمنين وهي تستحق وقفة مسؤولة من المؤمنين كافة بوجه الفئة الباغية لإيقاف هذا الشطط.[٩٤]

الخاتمة:

إن الله سبحانه وتعالى حصر عنصر القوة به وحده، فهو مصدر كل قوة في هذا الكون وكل من يعتبر أنه يحوز قوة ذاتية المنشأ فهو واهم، وهناك أوجه لصرف مخزون القوة عند الإنسان والمجتمع فهي قوة إيجابية حين تصرف في الأوجه المشروعة لخدمة النفس والأمة والمجتمع، إن أهمية ودور هذا العنصر في قيام ووجود واستمرار الأمم، وبسبب محدودية العقل البشري، فإن مثل هكذا تعامل مع عامل ربَّاني المنشأ عظيم الأثر يكون دائماً محفوفاً بالغلق والغُرور، فالإنسان القوي، والمجتمع القوي الذي امتلك هذا العنصر، وتعامل معه مدة طويلة من الزمن يُشكل عليه هذا التحكم بالقوة، فيحسبها ذاتية المنشأ، وينسى أصلها ومصدرها الرباني، فيبادر إلى الطغيان، ويسلطها ظلما وجوراً على من يستضعفهم مقابل قوته، وهذا ما ينشى حالة مضطربة غير متوازنة في الكون، تستدعي تدخلاً إلهياً مباشراً (باعتباره المصدر الأصلي لهذه القوة لتعديل الكفة، وإعادة التوازن للمجتمع الإنساني من خلال تجريد الطغاة من قوتهم، وغالباً ما يتم ذلك بطريقة عنيفة، وبذات القوة التي استعملوها ضد المستضعفين.

أولا: النتائج:

١-إن النماذج القرآنية الإيجابية عن القوة الفردية للأنبياء والأوصياء والصالحين تظهر بأساً شديداً مرده تلك الصلة القوية بالله، المرجع الأساسي للقوة، فمظهر القوة الربانية إعجازي بالمطلق وله آثار عظيمة.

٢-وكذلك فإن النماذج القرآنية السلبية عن حائزي القوة من الجبابرة والطغاة، تظهر لنا ضروباً من الاغترار غير طبيعية، لا تقبلها الطبيعة البشرية التي تحمل منهاجاً منطقياً للتفكير والتدبر.

٣-للقوة قدرة إغوائية عالية، لذا هناك حساسية في التعامل مع هذا العنصر الحياتي الأساسي، فللقوة دور في طغيان الأفراد الجاهلين، الذين ينسبون القوة زوراً لهم فاصلين بينها وبين مصدرها الرباني.

٤-تدخل الله بذاته وقوته للجم خطر المغترين بالقوة أمر حتمي، نظراً لأثر أولئك السلبي على محيطهم، ولتأثير ذلك في سنة الله في خلقه، وذلك عن طريق تدخله المباشر عن طريق الخوارق أو عن طريق ما سميناه بمحصلة القوى، أو عن طريق تسليط عباده الصالحين لإعادة الحقوق لأصحابها.

٥-للقدوة والقيادة السليمة دور أساسي في توجيه القوة المتجمعة لدى أي جماعة، فمن دون هذه القيادة ستنحرف الجماعة بعد امتلاكها للقوة وتصاب بالاغترار، وفي تحويل الهزيمة إلى نصر.

ثانيا: التوصيات:

١-يجب إعداد المناهج الإسلامية بطريقة تتوافق مع مفهوم مراكمة القوة بالنسبة للفرد والجماعة، إضافة إلى الإعداد البدني والذهني للفرد المسلم، وما يستتبع ذلك من نتائج إيجابية على الصعيد المجتمعي، والأممي.

٢-مراقبة تراكم القوة عند الأفراد والجماعات الإسلامية، وتوجيهها التوجيه الحَسَنَ لدى ملاحظة أي شطط في السلوك بناء على حيازة القوة، كي نستفيد كمجتمع إسلامي من هذه القوة ونعمل على مراكمتها وألا ندعها تضيع في غير مناحيها ومسالكها الشرعية.

٣-تدريس النماذج الإسلامية البارزة في مجالات القوة، وتسليط الضوء عليها كنماذج مثالية للفرد المسلم، وكذلك تسليط الضوء على الأفراد والجماعات المسلمة التي تحوز القوة، وتشجيعهم، وربطهم بالدائرة المنتجة المناسبة، لاستغلال موارد الأمة بالوجه الشرعي الأنسب.

٤-تركيز الجهد الإسلامي لرأب الصدع فيما بين الفرق الإسلامية، وإسكات أبواق الفتنة بِكُلِّ الطُّرُقِ المتاحة، وأن يكون الهدف على المدى المنظور والبعيد بأس المسلمين بين المسلمين حرام إلا بالحق والبيئة.

٥-إعادة توجيه البوصلة الإسلامية من جديد نحو أعداء الأمة من الطغاة والمستكبرين، والإعداد لَهُمْ بكل ما تستطيعه الأمة من إمكانات وموارد.

٦- -يَجِبُ أن تكون الأمة ملاذاً عاماً للمظلومين والمستضعفين، يردونها طالبين النصف، فَتُنصِفُهُم مِنْ ظالميهم وأكلي حقوقهم، ويجب أن يكون شعار المسلمين في شتى أصقاع الأرض أنهم أصحاب القضايا العادلة.

٧-يجب أن تصقل عملية تجميع القوة قيادة كفؤة تقوم بمهامها على أكمل وجه، سواء أكان ذلك الإتمام عملية استيلاد القوة وتجميعها في الجماهير، أم لجهة تنظيمها وتوجيهها والحفاظ على الرحم وذلك من دون خطر الوقوع في الاغترار بالقوة.

الهوامش

[١] . سورة البقرة، الآية ١٦٥.

[٢] . سورة الأنفال، الآية ٦٠.

[٣] . محمد جواد مغنية، الشيعة في الميزان، ط٢، دار الجواد، لبنان، ١٩٨٩، ص ٣٨٩.

[٤] . سورة النساء، الآية ٧٦.

[٥] . أحمد بن حبيب الرازي ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مكتبة الجيل، ط١، بيروت، ١٩٩١، ج٥، ص ٣٦.

[٦] . سورة الواقعة، الآية ٧٣.

[٧] . محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١، ج٢٣، ص ١٤٤.

[٨] . أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العرفان، صيدا، ١٣٣٣هـ، ج٩، ص ٢٢٤.

[٩] . الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٤٦٨.

[١٠] . سورة البقرة، الآية ٦٣.

[١١] . سورة الكهف، الآية ٩٥.

[١٢] . سورة مريم، الآية ١٢.

[١٣] . سورة هود، الآية ٨٠.

[١٤] . ابن عاشور محمد الطاهر، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ للنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٠، ط١، ج١٠، ص ٤٤.

[١٥] . سورة النجم، الآية ٥.

[١٦] . سورة الإسراء، الآية ٥.

[١٧] . سورة التوبة، الآية ١٢٣.

[١٨] . سورة المزمل، الآية ٥.

[١٩] . سورة الذاريات، الآية ٥٨.

[٢٠] . أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، عمدة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٦، ط١، ج٤، مادة متن، ص ٦٦.

[٢١] . سورة الشعراء، الآية:١٣٠.

[٢٢] . مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، القاهرة، ٢٠٠٨، مادة بطش، ص ٦١.

[٢٣] . سورة الذاريات، الآية ٤٧.

[٢٤] . أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، عمدة الحفاظ، مرجع سابق، ص ١٤٣.

[٢٥] . سورة الحديد، الآية ٢٥.

[٢٦] . مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مرجع سابق، مادة بأس، ص ٣٦.

[٢٧] . سورة الإسراء، الآية ٢٠.

[٢٨] . سورة هود، الآية ٥٢.

[٢٩] . سورة الحشر، الآية ١٤.

[٣٠] . محمد بن مرتضي الكاشاني، الفيض كتاب الصافي في تفسير القرآن، مؤسسة الهادي، قم المقدسة، ١٤١٦، قم، إيران، ج٧، ص ١٥٦.

[٣١] . سورة العنكبوت، الآية ٤٠.

[٣٢] . رائد عبد الرحيم عاصي، القوة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير في أصول الدين ، جامعة نابلس، فلسطين، ٢٠٠٩، ص ٣٦.

[٣٣] . سورة الأنفال، الآية ٩.

[٣٤] . سورة الحج، الآية ٤٠.

[٣٥] . سورة الطارق، الآيتان، ٩-١٠.

[٣٦] . سورة الفتح، الآية ١٠.

[٣٧] . محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تفسير القرآن، تفسير الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د.ت، ج٢٢، ص ٢١٠.

[٣٨] . سورة الفجر، الآية ١٤.

[٣٩] . محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تفسير القرآن، تفسير الطبري، مرجع سابق، ص ٤١١.

[٤٠] . سورة القمر، الآية ٤٩.

[٤١] . سورة الرحمن، الآية ٧.

[٤٢] . سورة الجمعة، الآية ١٠.

[٤٣] . سورة الانشقاق، الآية ٦.

[٤٤] . الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير الكتاب المنزل، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج٢٠، ص ٣٦.

[٤٥] . سورة الذاريات، الآية ٥٦.

[٤٦] . سورة الحج، الآية ٣٩.

[٤٧] . سورة آل عمران، الآية ١٠٤.

[٤٨] . على الطبرسي، مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ت: مهدي هوشميد، ١٤١٨، ص ٣١٩.

[٤٩] . سورة النساء، الآية ٥٨.

[٥٠] . محمد حسين فضل الله، الإسلام ومنطق القوة، دار الملاك، بيروت، ٢٠٠٣، ط٤، ص ٣١.

[٥١] . سورة الانفطار، الآيتان ٦-٧.

[٥٢] . معجم المعاني، https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar، تاريخ الزيارة، ٢٠٢٤/٩/٩.

[٥٣] . الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧، ج٢، ص ٧٦٨.

[٥٤] . سنن أبي داود، كتاب الصلاة، ناب رد السلام في الصلاة، حديث رقم (٩٢٨)، ج٢، ص ١٩٠.

[٥٥] . أبو حامد الغزالي، الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين، أصناف المغرورين، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٣٧٠، ص ٢٥٨.

[٥٦] . سورة الأنفال، الآية ٤٨.

[٥٧] . محسن سميح الخالدي، الغرور دراسة قرآنية، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤٣٦، ص ٦.

[٥٨] . سورة الحاقة، الآية ١١.

[٥٩] . سورة العلق، الآية ٦.

[٦٠] . الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة، ١٤٣٥، ط١، ج٢، ص ٤٣٠.

[٦١] . الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، مؤسسة الهادي، قم إيران، ج٧، ص ٥١٦.

[٦٢] . سورة النازعات، الآيات ٣٧.

[٦٣] . سورة الفجر، الآيات:١٠-١٢.

[٦٤] . سورة طه، الآية ٤٣.

[٦٥] . سورة الفجر، الآيات، ١٠-١٤.

[٦٦] . سورة القصص، الآية ٤.

[٦٧] . سورة القصص، الآية ٣٩.

[٦٨] . سورة النازعات، الآية ٢٤.

[٦٩] . الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي، تفسير القمي، مرجع سابق، ص ٤٠٣.

[٧٠] . سورة فصلت، الآية ١٥.

[٧١] . سورة هود، الآيتان: ٥٩-٦٠.

[٧٢] . سورة العنكوت، الآية: ٢٨.

[٧٣] . وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، ص ١٢٢٩.

[٧٤] . سورة العنكبوت، الآية ٢٩.

[٧٥] . سورة القصص، الآية ٧٦.

[٧٦] . معجم المعاني، https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar، تاريخ الزيارة، ٢٠٢٤/٩/٩.

[٧٧] . سورة القصص، الآية ٧٩.

[٧٨] . سورة الأعراف، الآية ١٧٥.

[٧٩] . أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لآيات القرآن تفسير القرطبي، ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤، ط٢، ص ٣١٩.

[٨٠] . سورة الفجر، الآيات: ١٠-١٣

[٨١] . سورة العلق، الآيتان: ١٧-١٨.

[٨٢] . سورة طه، الآية ٧٨.

[٨٣] . سورة المجادلة، الآية ٢١.

[٨٤] . سورة الفجر، الآيات: ٦-١٤.

[٨٥] . هاشم الحسيني البحراني، البرهان في تفسير القرآن، مؤسسة البعثة قم المقدسة، د.ت، ج٥، ص ٦٥١.

[٨٦] . سورة القصص، الآية ٨١.

[٨٧] . رائد عبد الرحيم عاصي، القوة في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٨٥.

[٨٨] . محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج١٣، ص ٣٧٩.

[٨٩] . سورة الحج، الآية ٤٠

[٩٠] . سورة النساء، الآيتان: ٧٥-٧٦.

[٩١] . محمد حسين فضل الله، الإسلام ومنطق القوة، مرجع سابق، ص ٦١.

[٩٢] . سورة الحجرات، الآية ٩.

[٩٣] . منهاج الصالحين الخوئي، مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، بيروت، ١٤١٠، ط٢٨، ج١، ص ٣٦٣.

[٩٤] . جعفر بن حسن الحلي، شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، الناشر: انتشارات استقلال، طهران، ١٤٠٩، ط٢، ج١، ص ٢٥٦.

قائمة المراجع:

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المراجع العربية:

١-ابن عاشور محمد الطاهر (٢٠٠٠): التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ للنشر والتوزيع، بيروت، ط١.

٢-أبو حامد الغزالي (١٣٧٠): الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين، أصناف المغرورين، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

٣-أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (١٩٦٤): الجامع لآيات القرآن تفسير القرطبي، ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤.

٤-أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (١٣٣٣): مجمع البيان في تفسير القرآن، دار العرفان، صيدا.

٥-أحمد بن حبيب الرازي ابن فارس (١٩٩١): معجم مقاييس اللغة، مكتبة الجيل، ط١، بيروت.

٦-أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي (١٩٩٦): عمدة الحفاظ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧-الجوهري (١٩٨٧): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت.

٨-الراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (٢٠٠٤): معجم مفردات ألفاظ القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩-الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي (١٤٣٥): تفسير القمي، مؤسسة الإمام المهدي، قم المقدسة.

١٠-الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، الأمثل في تفسير الكتاب المنزل، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١١-الفيض الكاشاني، التفسير الصافي، مؤسسة الهادي، قم إيران.

١٢-جعفر بن حسن الحلي (١٤٠٩): شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، الناشر: انتشارات استقلال، طهران.

١٣-رائد عبد الرحيم عاصي (٢٠٠٩): القوة في القرآن الكريم، رسالة ماجستير في أصول الدين ، جامعة نابلس، فلسطين.

١٤-سنن أبي داود، كتاب الصلاة، ناب رد السلام في الصلاة، حديث رقم (٩٢٨).

١٥-على الطبرسي (١٤١٨): مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، ت: مهدي هوشميد.

١٦-مجمع اللغة العربية (٢٠٠٨): المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، القاهرة.

١٧-محسن سميح الخالدي (١٤٣٦): الغرور دراسة قرآنية، جامعة الملك سعود، الرياض.

١٨-محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، ج١٣.

١٩-محمد بن جرير الطبري (١٩٧١): تفسير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٠-محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تفسير القرآن، تفسير الطبري، دار التربية والتراث، مكة المكرمة، د.ت، ج٢٢.
٢١-محمد بن مرتضى الكاشاني (١٤١٦): الفيض كتاب الصافي في تفسير القرآن، مؤسسة الهادي، قم المقدسة، قم، إيران.
٢٢-محمد جواد مغنية (١٩٨٩): الشيعة في الميزان، ط٢، دار الجواد، لبنان.
٢٣-محمد حسين فضل الله (٢٠٠٣): الإسلام ومنطق القوة، دار الملاك، بيروت.
٢٤-معجم المعاني، https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar، تاريخ الزيارة، ٢٠٢٤/٩/٩.
٢٥-منهاج الصالحين الخوئي (١٤١٠): مؤسسة أهل البيت لإحياء التراث، بيروت، ط٢٨، ج١.
٢٦-هاشم الحسيني البحراني، البرهان في تفسير القرآن، مؤسسة البعثة قم المقدسة، د.ت، ج٥.
٢٧-وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر.

References: المصادر المترجمة

First: The Holy Quran

Second: Arabic References:

1-Ibn Ashur, Muhammad al-Tahir (2000): Al-Tahrir wa al-Tanwir, History Foundation for Publishing and Distribution, Beirut, 1st edition.

2- Abu Hamid al-Ghazali (1370): Al-Kashf wa al-Tibyan fi Ghurur al-Khalq Ajma'in, Asnaf al-Maghrurin, Quran Library for Printing, Publishing and Distribution, Cairo, Egypt.

3- Abu Abdullah Muhammad ibn Ahmad al-Ansari al-Qurtubi (1964): Al-Jami' li-Ayat al-Qur'an, Tafsir al-Qurtubi, edited by Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfayish, Egyptian National Library, Cairo, 1964.

4- Abu Ali al-Fadl ibn al-Hasan al-Tabarsi (1333): Majma' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an, Dar al-Irfan, Sidon.

5-Ahmad ibn Habib al-Razi ibn Faris (1991): Mu'jam Maqayis al-Lughah, Al-Jil Library, 1st edition, Beirut.

6- Ahmad ibn Yusuf ibn Abd al-Dayim al-Halabi (1996): Umdat al-Huffaz, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.

7-Al-Jawhari (1987): Al-Sihah Taj al-Lughah wa Sihah al-Arabiyya, 4th ed., Dar al-Ilm lil-Malayin, Beirut.

8- Al-Raghib al-Isfahani Abu al-Qasim al-Husayn ibn Muhammad ibn al-Mufaddal (2004): Mu'jam Mufradat Alfaz al-Qur'an, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut.

9- Shaykh Abu al-Hasan Ali ibn Ibrahim al-Qummi (1435 AH): Tafsir al-Qummi, Mu'assasat al-Imam al-Mahdi, Qom.

10-Shaykh Nasir Makarim al-Shirazi: Al-Amthal fi Tafsir al-Kitab al-Munzal, 1st ed., Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Beirut, Lebanon.
11-Al-Fayd al-Kashani: Al-Tafsir al-Safi, Mu'assasat al-Hadi, Qom, Iran.
12-Ja'far ibn Hasan al-Hilli (1409 AH): Shara'i' al-Islam fi Masa'il al-Halal wa al-Haram, Publisher: Intisharat Istiqlal, Tehran.
13- Raed Abdul Rahim Assi (2009): Power in the Holy Qur'an, Master's Thesis in Islamic Theology, University of Nablus, Palestine.
14-Sunan Abi Dawud, Book of Prayer, Chapter on Returning a Greeting in Prayer, Hadith No. (928).
15-Ali al-Tabarsi (1418 AH): Mishkat al-Anwar fi Ghurar al-Akhbar, edited by Mahdi Hoshmid.
16-The Arabic Language Academy (2008): Al-Mu'jam al-Wasit, Al-Shorouk International Library, 4th edition, Cairo.
17- Muhsin Samih al-Khalidi (1436 AH): Arrogance: A Qur'anic Study, King Saud University, Riyadh.
18-Muhammad Baqir al-Majlisi, Bihar al-Anwar, 2nd edition, Al-Wafa Foundation, Beirut, Lebanon, Vol. 13.
19-Muhammad ibn Jarir al-Tabari (1971): Tafsir al-Tabari, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut
20-Muhammad ibn Jarir al-Tabari, Jami' al-Bayan 'an Tafsir al-Qur'an, Tafsir al-Tabari, Dar al-Tarbiya wa al-Turath, Mecca, n.d., vol. 22.
21- Muhammad ibn Murtada al-Kashani (1416 AH): Al-Fayd, Kitab al-Safi fi Tafsir al-Qur'an, Mu'assasat al-Hadi, Qom, Iran.
22- Muhammad Jawad Mughniyya (1989): Al-Shi'a fi al-Mizan, 2nd ed., Dar al-Jawad, Lebanon.
23-Muhammad Hussein Fadlallah (2003): Al-Islam wa Mantiq al-Quwa, Dar al-Malak, Beirut.
24-Mu'jam al-Ma'ani, https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar, accessed September 9, 2024.
25-Minhaj al-Salihin al-Khu'i (1410 AH): Mu'assasat Ahl al-Bayt li-Ihya' al-Turath, Beirut, 28th ed., vol. 1.
26-Hashim al-Husseini al-Bahrani, Al-Burhan fi Tafsir al-Qur'an, Mu'assasat al-Ba'tha, Qom, n.d., vol. 5.

27- Wahba bin Mustafa Al-Zuhaili, Al-Tafsir Al-Wasit, First Edition, Damascus, Dar Al-Fikr.